



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (12)

التاريخ : الخميس 9 - 6 - 1440 هـ

تقديم الدرس الثاني عشر والاخير من وروى شرح الاصول الثلاثة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

فهذا المجلس الثاني عشر من مجالس شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -؛ وهو آخر درس في هذه السلسلة التي نسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل وأن يرزقنا الفقه في الدين والبصيرة واليقين، إن ربّي سميع قريب مجيب دعوة الداع إذا دعاه.

بعد أن فرغ المصنف - رحمه الله - من بيان الأصول الثلاثة بدأ بذكر بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة، تكون كالخاتمة لهذه الرسالة.

قال - رحمه الله -:

[والنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، والدليل قوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}، وقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}.

ابتدأ المؤلف - رحمه الله - الخاتمة بمسألة الإيمان بالبعث بعد الموت، فإنَّ كلَّ النَّاسِ مُسلمين وكفَّار يؤمنون بالموت لأنَّه حقٌّ مُشاهد؛ لكنَّ الشَّأن كُلَّه في البعث بعد الموت، وهذا هو الفرق بين المسلمين والكفَّار، إعادة الأُجسام التي تفتَّت وصارت تُرابًا وتفرقت في الأرض إلى ما كانت عليه؛ فإنَّ الذي خلقها أول مرة من العدم قادرٌ على جمعها وإعادة بعثها، ثم تُنفخ فيها الأرواح وتسيرُ إلى أرضِ المحشَّر، قال الله تعالى: {يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} والأجداثُ هي القُبور، وقال تعالى: {خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ}.

فهذا البعث حقٌّ لا شكَّ فيه؛ والإيمان به واجب، ولا يتخلف عنه أحد، وهو ركنٌ من أركان الإيمان الستَّة التي مرَّت معنا وهي: [الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره]، وقد فصلنا القول فيها بحمد الله وتوفيقه.

استدلَّ المؤلف - رحمه الله - على أنَّ النَّاسَ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ بقوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}.

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ) : الخطابُ في الآية موجهٌ للأمةِ جميعاً، والضمير في قوله: منها، يعودُ إلى الأرض، فالمعنى:

من الأرض مبدؤكم، وذلك لأنَّ أبايكم آدم خُلِقَ من تُراب؛ في الحديث عن أبي موسى الأشعريّ - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) .

(وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) : أي نُعيدكم في الأرض، وذلك بالدفن في القبور بعد الموت.

(وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) : هذا الإخراجُ من الأرض بالبعثِ يوم القيامة للجزاء على العمل.

واستدلَّ المؤلف رحمه الله تعالى كذلك بقوله: { وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } .

(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) : حينما خَلَقَ آدم من الأرض، وذريته مِنْهُ عليه السلام.

(ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) : بالدفن بعد الموت.

(وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) : وهو البعثُ من القبور.

وهذه الآية مُطابقة لما قبلها تماماً، والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، منها قول الله تعالى: { قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } .

- ومن الأدلة العقلية من القرآن قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

- ومن الأدلة كذلك ما يحصل للأرض من الحياة بعد الموت، قال الله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .

- ومن الأدلة كذلك أنه لو لم يكن بعثٌ للزم أن يكون خَلَقَ الإنسان عبثاً؛ فاقتضت حكمة الله أن يُجازي المؤمنين ويُعاقب الكافرين ، قال الله تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } ، وقال تعالى: { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } .

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله :-

[وبعد البعث مُحاسبون وَمَجْزِيونَ بأعمالهم، والدَّلِيلُ قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}.]

معنى ذلك أَنَّ النَّاسَ بعدَ البعثِ مَجْزِيونَ وَمُحَاسِبونَ بسببِ أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) : فالله سبحانه وتعالى له ما في السَّمَاوَاتِ وما في الارض خلقاً ومُلْكاً وتديباً.

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا) : لَمْ يَذْكَرْ نوعَ العذابِ في الآية للمُبَالَغَةِ في الدَّلَالَةِ على شِدَّتِهِ.

(وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) : هُنَا ذَكَرَ نوعَ الثواب؛ فَإِنَّ الحُسْنَى التي يجزي الله بها الذين أَحْسَنُوا هي الجنة.

فالكلُّ مُجَازَى على عمله، وهذا يَحْتُ العبدُ على عمل الخيرات التي يُثَقِّلُ بها موازينه يوم القيامة، ويفوزُ بالجنة وينجو من النار، قال الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

وحسابُ المسلمين يومَ القيامة على أقسام:

- فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُحَاسَبُ : وهؤلاءِ يَدْخُلُونَ الجنةَ بلا حِسَابٍ ولا عذابٍ؛ يَدْخُلُونَ الجنةَ مُبَاشَرَةً، دليلُ ذلك حديث: (السبعين أَلْفًا الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)، والحديث عند البخاري ومسلم.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا : وهؤلاءِ يُحَاسِبُونَ حِسَابَ عَرْضٍ لَا مُنَاقَشَةَ، قال الله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا }.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَاسَبُ وَيُنَاقَشُ الحِسَابُ : وهذا على خطر، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُدِّبَ) متفقٌ عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

أَمَّا الكُفَّارُ فقد اختلفَ أَهْلُ العِلْمِ فيهم، هل يُحَاسِبُونَ أم لا.

ثم تُوزَنُ أعمالُ العبادِ بالمِيزَانِ؛ والمِيزَانُ ميزانٌ حَقِيقِي لَهُ كِفَتَانِ، تُوضَعُ الحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالسَّيِّئَاتُ فِي كِفَّةٍ، قال الله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ سَيِّئَاتِهِ فَهُوَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ بِحَسَنَاتِهِ

فقد خاب وخسر، نسأل الله السلامة والعافية.

ثم قال - رحمه الله -:

[وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، والدليل قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}].

من يُكْذِبُ بالبعثِ بعدَ الموت فهو كافر؛ لأنَّه أنكر ركناً من أركانِ الإيمانِ السَّتَّةِ السابقةِ الذِّكْرَ، ولأنَّه مُكْذِبُ اللهِ ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومُكْذِبُ لإجماعِ المُسلمين، والشيخ رحمه الله استدلَّ بآيةِ التَّغَابُنِ، قال الله تعالى: **{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}**، وفي الآيةِ دليلٌ على المسألةِ الأولى المُتقدمة، مسألة (البعث)، والمسألة الثانية مسألة (الحساب والجزاء على الأعمال).

قوله تعالى: **(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا)**: زَعَمَ، أي: اعتقد، وتُسْتَعْمَلُ في الغالب للإعتقادات الباطلة.

(أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) أي: زعموا أن لن يحييوا بعد أن يموتوا.

(قُلْ): الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ): في الآية أمرٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يُقسِمَ به على البعث، وجاء هذا القسم مؤكدٌ بمؤكدات وهي: أسلوب القسم، واللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد، **(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ)**، ثُمَّ الجزاء على العمل بعدَ هذا البعث في قوله تعالى: **(ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ)**.

ثُمَّ قال: **(وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)** أي: سهلٌ وَهَيِّئْ عليه سبحانه وتعالى، قال في آية أخرى: **{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}**.

ووجهُ دلالةِ الآية: أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكر الذين يزعمون أنَّهم لن يبعثوا ووصفهم (بالكفر)؛ ووصفهم بالكُفر جعلنا نحكم على من كَذَّبَ بالبعث بالكُفر.

وكانَ المشركونَ زمنَ النبي صلى الله عليه وسلم وقبلَ زمنِ النبي صلى الله عليه وسلم يُجادِلونَ بهذه المسألة (مسألة البعث بعد الموت)، فمن أقوالهم الفاجرة الظَّالمة التي أخبرنا الله بها، قال اللهُ تعالى: **{وَضَرَبَ لَنَا**

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}، فردَّ الله باطلهم بقوله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}، ومن أقوالهم: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَءَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، وقال تعالى: {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}، وقال تعالى في سورة المطففين: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّومِ الدِّينِ وَمَا يُكْذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلٌّ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}، وقال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}.

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

[وأرسل الله جميع الرُّسل مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، والدليلُ قوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}].

الإيمان بالرُّسل أحدُ أركان الإيمان الستَّة، وقد سبق أن فصلنا القول فيه، وفي هذه الآية التي استدللَّ بها الشيخ - رحمه الله - **بيان وظيفة المرسلين وهي:**

- البشارة لأتباعهم الذين آمنوا برسالاتهم واستجابوا لدعوتهم، يبشرونهم بالجنة.
- التنذرة لأعداء الله وأعداء رسله وأعداء عباد الله الموحدين، فإنهم يندرونهم النَّار.

- إقامة الحُجَّة على من بلغته المحجَّة.

البشارة والنذارة في قوله تعالى في الآية: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)، وأمَّا إقامة الحُجَّة ففي قوله تعالى: (لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ).

والرُّسُلُ: جمعُ رسول، وهو من أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وأعظم ما دعا إليه الرُّسل من أولهم إلى آخرهم (التَّوْحِيد)، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله :-

[وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، والدليل على أَنَّ أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ }].

كان النَّاسُ على التَّوْحِيدِ وعلى عبادة الله سبحانه وتعالى منذُ أنْ أهُبَطَ اللهُ آدمَ وحواءَ إلى الأرضِ إلى عشرة قرون، فَلَمَّا كَانَ قومَ نوحَ كانَ فيهم رجالٌ صالحون، فَلَمَّا مَاتَ هؤلاء الصالحون حزنوا عليهم حُزنًا شديدًا، فانهز الشيطانُ الفُرصةَ وأوحى إليهم أنْ صَوِّروا صُورَ هؤلاء الصَّالِحِينَ وانصبوها على مَجَالِسِكُمْ، فإذا رَأَيْتُمُوهُمْ تَذَكَّرُوا أحوالهم، وتَنَشَّطُوا في العبادة، وفعلوا ولم تُعْبَدْ في أولِّ الأمرِ حتى ذهبَ ذلك الجيل وخلفَهُمْ جيلٌ آخر؛ وقد ماتَ علماؤهم جاء إليهم الشيطانُ مرةً أخرى وقالَ لهم: إِنَّ آبَائَكُمْ ما نَصَبُوا هذه الصُّورَ إِلَّا لعبادتها، وبها كانوا يُسْقَوْنَ المَطَرُ، وَزَيْنَ لهم عبادتها من دونِ اللهِ فعبدوها.

فهذا أولُ شُرْكٍ حَدَثَ في الأرضِ، فبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ نوحًا عليه السلامَ يَدْعُوهم إلى اللهِ سبحانه وتعالى، وَيُبينُ لهم أَنَّ هذا شركٌ، وَيَرُدُّهم إلى التَّوْحِيدِ الذي هو دينُ أبائهم آدمَ عليه السلامَ، لكنَّهُم عاندوا واستكبروا، قال اللهُ تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}.

قال ابنُ عباسٍ - رضيَ اللهُ عنه - هذه أسماءُ رجالٍ صالحين صَوَّروا صُورَهُمْ ونصبوها على مَجَالِسِهِمْ قَالَ بِهِمُ الأَمْرُ إلى أنْ عبدوها من دونِ اللهِ، قالَ هؤلاء المشركون: لا تتركوا آلِهَتَكُمْ ولا تتركوا عبادة هؤلاء الصالحين؛ فمن هنا تعلم سببَ تغليظِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التحذيرِ من التَّصَوُّيرِ، قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ) متفقٌ عليه، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وسلم: (إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ) متفقٌ عليه، فيؤمرون بنفخِ الرُّوحِ في هذه الصور من باب التعجيزِ لهم، واستحقاقوا هذا الوعيد لأنَّ التصوير وسيلةٌ من وسائلِ الشرك كما حصلَ مع قومِ نوحٍ عليه السلام.

فأولُ رسولٍ في هذه الارض هو نوح عليه الصلاة والسلام بدليل قول الله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}.

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) : الخطابُ للنبيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

(كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) : النَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، فلا نبيَّ قبله، ويدلُّ على ذلك حديث الشفاعة في الصحيحين: (فَإِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ فيقولونَ له: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ).

وأخر الرسل مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ثوبان، فلا نبيَّ بعده، ومن ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب كافر؛ ومن صدَّقه فهو كافر مثله، وقد ادعاها بعده خلق كثير آخرهم غلام أحمد القادياني الهندي.

ثم قال -رحمه الله -:

[وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، والدليل قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتِ}].

كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا لِيُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَرَحْمَةً بِهِمْ كِي لَا يَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، قال الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}، وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}، ودعوةُ الرُّسُلِ من أولهم إلى آخرهم هي دعوةُ النَّاسِ إلى توحيدِ اللَّهِ سبحانه وتعالى، وتحذيرهم من الشِّركِ بالله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

(اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) : اجتنبوا عبادة الأوثان والأصنام والقبور وغيرها؛ وفي الآية تفسير لِّلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كما مرَّ معنا، ففيها الأمرُ بعبادة الله وحده، وعدم الإشراكِ

به غيره، فيها النفي والإثبات، وقال الله تعالى كذلك: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، فأصل دعوة الرُّسُلِ جميعاً دعوة النَّاسِ إلى توحيدِ الله ربِّ العالمين ونهيهم عن الشرك، ثم تأتي بعد ذلك الشرائع مِنْ حلالٍ وحرام.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

[وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ].

أَيَّ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ، وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِرُكْنَيْهَا مَعًا: (النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ)؛ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجُوبَ الْإِيمَانِ بِهِ وَالْكَفْرَ بِالطَّاغُوتِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، وَقَالَ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنْ حَالِ الْيَهُودِ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}، وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا}، هَذِهِ الْآيَاتُ تَقُودُنَا إِلَى الْقَوْلِ: مَا هُوَ الطَّاغُوتُ لِكَيْ نَجْتَنِبَهُ؟

قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

[قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ].

ابْنُ الْقَيِّمِ: هُوَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ الزَّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَيِّمِ الْجُوزِيَّةِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ، تَلْمِيزُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْمُتَوَفَى سَنَةَ سَبْعِمِائَةٍ وَاحِدٍ وَخَمْسِينَ. (الطَّاغُوتُ): مَا خُوِذَ مِنَ الطُّغْيَانِ.

وَالطَّاغُوتُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}، أَيُّ: لَمَّا زَادَ الْمَاءُ عَنْ حَدِّهِ حَمَلْنَاكُمْ فِي السَّفِينَةِ.

وَأَمَّا فِي اصْطِلَاحِ الْعُلَمَاءِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ الَّذِي نَقَلَهُ الشَّيْخُ

محمد بن عبد الوهّاب -رحمه الله- هنا، قال ابن القَيِّم في تعريفه: ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ.

المعبودُ: سواء كان شجرًا أو حجرًا أو وليًا أو عالمًا ولكن بشرط أن يكون راضيًا بعبادة النَّاس له، أو يدعو الناس إلى عبادة نفسه.

وأما المتبوع: فإنَّ الواجبَ إتِّباع النَّبي صلى الله عليه وسلم، فمن اتَّبَعَ عُلماء السُّوء في تحريم الحلال وتحليل الحرام فإنَّه طاغوتٌ جاوزَ حدَّه.

وأما المطاعُ: فالواجبُ طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى الله عليه وسلم، وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله ورسوله، فإذا أَمَرُوا بمعصية فلا سَمْعَ ولا طاعة ولا ننزع يدًا من طاعة، فمن أطاعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال فإنَّه مجاوزٌ للحدِّ وهو طاغوت.

قال ابنُ القَيِّم - رحمه الله -: فإذا تَأَمَّلْتَ طواغيت العالم فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة (المعبود والمتبوع والمطاع).

ثم قال - رحمه الله -: **[والطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُسُهُمْ خَمْسَةٌ : إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَمَنْ حَكَّمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ].**

(الطَّوَاعِيتُ) : جَمْعُ طَاغُوتٍ وقد تَقَدَّمَ تعريفه، هؤلاء الطَّوَاعِيتُ الذين ينطبق عليهم تعريف الطَّاغُوتِ الْمُتَقَدِّمِ، ما تجاوزَ به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطاع

كثيرون لكنَّ رؤوسهم وأكابرهم وخمسة وهم :

(إِبْلِيسُ) : اللَّعِينُ الْمَطْرُودُ من رحمةِ أرحم الراحمين، وإبليس هو الشيطان الرجيم، رأس الكفر ومصدرُ الشرِّ، الذي قال الله تعالى فيه: **{وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}**، هذا هو رأسُ الطواغيت الأكبر نعوذُ بالله منه.

(من عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) : أي من عبدهُ النَّاس وهو راضٍ بفعلهم وبعبادتهم له؛ هذا من رؤوس الطَّوَاعِيتِ، أمَّا من عُبِدَ وهو غير راضٍ بذلك فلا يدخلُ في هذا؛ ولا يدخلُ في ذلك عيسى عليه السلام فإنَّه عُبِدَ من

دون الله ولا يزال يُعبد، لكنّه عليه السّلام غير راضٍ بعبادتهم، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }.

ولا يدخلُ في ذلك عليّ - رضي الله عنه - الخليفة الراشد فإنّه لما قال له من قال: أنت هو، قال: مَنْ هو، قالوا: أنت الله، فإنّه رضي الله عنه خدّ لهم الأخاديد وأحرقهم بالنار ولم يرضَ بصنيعهم، فإنّه رضي الله عنه عبداً ولا زالت تعبدُهُ الرافضة؛ ولكنّه رضي الله عنه غير راضٍ بعبادتهم، وما صنيعةُ بهم إلا دليلٌ على غير رضاه، قال عليّ - رضي الله عنه -:

لَمَّا رَأَيْتِ الْأَمْرَ أَمْرًا مَنكَرًا *** أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَمْبَرًا

وقمبرا: هذا خادم لعليّ - رضي الله عنه - .

من دعا الناس إلى عبادة نفسه: مثلاً ذلك فرعون الذي قال: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)، ومثلُ غلاة الصوفية فإنّهم يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم عياذاً بالله، وهؤلاء من رؤوس الطواغيت، وسواء أُجيبوا أم لم يُجابوا في عبادتهم.

(من ادّعى شيئاً من علم الغيب) : وهذا يدخلُ فيه السحرة والمُنجمون، والكهّان وأضرابهم، فكلّ من ادّعى شيئاً من علم الغيب، كلّ من يقول للناس سيحصل لكم كذا وكذا من باب معرفة الغيب فإنّه طاغوت.

والغيب : هو ما غاب عن الإنسان ، وهو نوعان:

غيب واقع: وهذا يكون غيباً لشخصٍ لكنّه معلوم لآخر؛ فما يحدث في مكان آخر بعيد عنك هذا غيبٌ بالنسبة لك، لكن من هو في عين هذا المكان لا يكون غيباً بالنسبة له.

غيبٌ مُستقبل: هذا لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده، أو من أطلعه الله عليه من الرُّسل، فمن ادّعى علم الغيب المُستقبل فهو كافر مُكذب لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } .

ونقول لهؤلاء الصُوفِيَّة والسَّحرة والمشعوذين كيف يُمكن أن تَعلموا الغيب والنَّبِي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، هل أنتم أشرف أم الرسول صَلَّى الله عليه وسلم؟ فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول كفروا بهذا القول، وأنتى لهم أن يقولوا هذا!، وإن قالوا: الرسول أشرف فنقول لهم: لماذا لا يعلم هو الغيب وتعلمونه؟

قال الله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، وقد أمر الله نبيه أن يقول للملأ: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}.

(من حَكَمَ بغير ما أنزل الله) : الحكمُ بما أنزل الله في كتابه أو في سُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم أمره عظيم؛ وهو من توحيد الرِّبَوِيَّة، فإنَّه تطبيقٌ لحكم الله الذي هو مُقْتَضَى رُبوبيته سُبْحانه وتعالى، لهذا سَمَّى الله المتبوعين بغير حقٍّ أرباباً، قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، فسَمَّى الله المتبوعين أرباباً حيث جُعِلوا مُشْرَعِينَ مع الله، وسَمَّى المتَّبِعِينَ عِبَاداً حيث أَنَّهُمْ قد ذَلُّوا لهم وأطاعوهم في مُخالفة حكم الله، وعن عدي بن حاتم أَنَّهُ سَمِعَ النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، قال عدي: إِنَّا لَسْنَا نعبدهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرِّمُونَهُ وَيُحَلِّلونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَحْلُونَهُ)، قال عدي: بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَتَلَكَّ عبادتهم).

هذا الحديث يُفَسِّر لنا المعنى المُراد من الآية وكيف أَنَّهُمْ اتَّخَذُوهم أرباباً من دون الله.

والأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله كثيرة، منها قول الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وتفصيل القول في الحُكْم بغير ما أنزل الله والذي قال به أئمة السلف وعلى رأسهم: ابن عباس خبر الأمة وتُرْجَمَان القرآن ومُجاهد وطاووس أَنَّهُ:

- إذا حَكَمَ الحاكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده بأنَّ الحُكْمَ بما أنزل الله لا ينفع، أو أنَّ الحكم بغيره أفضل، أو أَنَّهُ مساوٍ له، أو أنَّ حُكْمَ الله لا يصلح لهذا الزمن، أو يعتقد جواز الحُكْم بغير ما أنزل

الله، فهذا يكون كُفْره كُفْراً أكبر مُخْرِج من دائرة الإسلام.

- إذا حَكَمَ الحاكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن حكم الله أفضل وهو الصَّحِيح وأن غيره باطل وأنَّ الحكم بغيره غير جائز، وأنَّ حُكْمَ الله هو الواجب لكن غلبته نفسه وشهوته، أو حَكَمَ بغير ما أنزل الله لرشوة، فمثل هذا يكون كُفْره كُفْراً أصغر لا يخرجُه عن دائرة الإسلام لكن صاحبه على خطرٍ عظيم.

وهذه المسألة مسألة عظيمة تعلَّقت بها فرقة ضالَّة وهي فرقة الخوارج؛ فكفَّرت الحكام بداعي الحُكم بغير ما أنزل الله؛ هكذا من غير تفصيل رادِّين كلام السلف الصَّالحين والعلماء العاملين، وكفَّروا من تحت إمرتهم بمسألة التولي وبعدها خرجوا على أمة الإسلام بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فعاثوا في الأرض فساداً، ولم تجنِ الأُمَّة الإسلامية منهم إلا الولايات والنكبات، لكنَّهم لا يعتبرون؛ فتراهم مستمسكين بغيهم وباطلهم وما زالوا يُؤْزَون أتباعهم أزا وإلى جهنم يقودونهم وزدا، والله تعالى نسأل أن يكفي الأمة شرهم وأن يردَّ كيدهم في نحورهم.

ثم قال الشيخ - رحمه الله -:

[والدليل قوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }، وهذا هو معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ].

أي: والدليل على وجوب الإيمان بالله وحده والكفر بالطَّاغُوت هذه الآية التي استدَلَّ بها الشيخ - رحمه الله -.

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) : فلا يُكْرَهُ على الدخول في الإسلام أحدٌ، لأنَّ الدخول فيه يجب أن يكون عن قناعة، فنحن ندعو إلى الإسلام ونبين للنَّاس، والهداية بيد الله وحده؛ لكن من أصَرَ على الكفر من أهل الكتاب يُطلب منه دَفْع الجِزْيَة، فإن أبى فإنه يُقَاتَل.

(قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) : أي قد تبين الحق من الباطل والإيمان من الكفر، والهُدَى من الضَّلَالِ، بالآيات الواضحات والبراهين الجَلِيَّات.

(فمن يكفر بالطَّاغُوت ويؤمن بالله)، قدَّم الكفر بالطَّاغُوت على الإيمان بالله، والطَّاغُوت هنا تشمل

جميع الطواغيت في العبادة والاتباع والطاعة؛ كُلُّهُمْ يَجِبُ الكُفْرُ بِهِم والإيمانُ بالله وحده؛ فلا إيمان بالله دون الكفر بالطاغوت، وهذا معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْمُؤَلَّف - رحمه الله -، وهذه هي التَّخْلِيَةُ قبل التَّحْلِيَةِ، فَإِنَّ من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت .

(فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى) : هي التَّوْحِيد، هي الإسلام الحق، الإسلام الذي أُرْسِلَتْ من أجله الرُّسُل، وَأُنْزِلَتْ من أجله الكتب؛ وقامت لأجله الجنَّة والنَّار، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه.

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

وفي الحديث (رأسُ الأمرِ الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله).

هذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه، وهو ضَعِيف، فلا يُسْتَدَلُّ به، راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب - رحمه الله -، فقد ذكر له عِلَتَيْنِ عند شرحه للحديث التاسع والعشرين من شرح الأربعين النووية.

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

[وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ] .

خَتَمَ شيخُ الإسلام - رحمه الله - رسالته العظيمة بِرَدِّ العلم الى الله سبحانه وتعالى فقال: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) ثم صَلَّى وسلم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا نكونُ قَدْ انتهينا من التَّعْلِيْقِ على هذه الرسالة العظيمة المباركة؛ فنسألُ الله سبحانه وتعالى أَنْ يَرْحَمَ شيخَ الإسلام وَأَنْ يُعْظِمَ أَجْرَهُ وَيَرْفَعَ ذِكْرَهُ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا معه في دار كرامته إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، ونسألُ الله سبحانه وتعالى أَنْ يَنْفَعَنَا وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا، وَأَنْ يُبَيِّنَ لَنَا مَنْ أَمَرْنَا بِرَشْدٍ، ونسألُ الله سبحانه وتعالى أَنْ يجعلنا من عِبَادِهِ الْمُؤَحِّدِينَ وَأَنْ يَحْشُرَنَا مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا.

هذا ما تيسَّرَ جمعه ونقله وأسألُ الله لي ولكم الإخلاصَ في القول والعمل وَأَنْ يَغْفِرَ الذَّنْبَ وَالزَّلَّلَ وما

حصلَ من التقصير والخلل، والشكرُ موصولٌ لشيخنا أبي الحسن عليّ الرمليّ وفقههُ الله وزادهُ من فضله
وجعلَ الله ما قدّم ويُقدِّم رفعةً له في الدرجات ومغفرةً له من الزّلات والخطيئات وجزاهُ الله خيرًا.
ولكم أنتم كذلك يا طلبةَ العلم أسألُ الله لكم الفِقهَ في الدّين والبصيرةَ واليقينَ ونفعَ الله بكم وجزاكم الله
خيرًا.

والله أعلى وأعلم، والحمدُ لله الذي بنعمتهِ تَتِمُّ الصّالحات، وصَلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرُكَ وأتوبُ إليك.